مجلس الوزراء باشرت على الفور باجراء اتصال بقادة الصهيونية ، وشرعت باعداد رسالة مطولة الى حاييم وايزمان ، كانت في الواقع تذكرا كاملا للكتاب الابيض وتخليا عنه . وأصبحت مسودة الرسالة جاهزة في فبراير — شباط ١٩٣١ . وكتب لاسكي الى صديقه فيلكس فرانكفورتر احد قادة الصهيونية في الولايات المتحدة ، والذي أصبح فيما بعد قاضيا في المحكمة العليا ، يقول : « لقد أنهيت وهندرسون المسودة النهائية للوثيقة ليلة الثلاثاء »(١٧). وفي الحادي عشر من فبراير — شباط ، وقف الرائد البحري جي. م. كنوورثي (الذي أصبح فيما بعد اللورد سترابولجي) ، وهو نائب مكرس لخدمة الصهيونية ، وكان يعرف جيدا كل خفايا اعمال اللجنة الوزارية المشار اليها المعنية بقضية فلسطين ، وقف يسأل مكدونالد اذا كان لديه اي بيان بشأن السياسة في فلسطين ، وما اذا كان هناك كتاب ابيض آخر قيد الاصدار (هانزارد ، المجلد الرقم ٢٤٨ ، العمود ٣٨٩) .

اجتمعت الحكومة بضع ساعات قبل أن يحين موعد الرد على السؤال ، وهيمنت على اعضاء الحكومة حالة شاملة تقارب الرعب . وكان الرد : « جوابا نسؤال في البرلمان طرح بعد الظهر ، يود رئيس الوزراء أن يوضح ان لجنة وزارية تقوم بتبادل الاراء مع قادة الصهيونية فيما يتعلق بتفسير بعض الفقرات في البيان السياسي الذي قدمته الحكومة أمام البرلمان في اكتوبر — تشرين الاول الماضي . والاقتراح الوارد يقتضي تضمين التفسيرات التي تم التوصل اليها في رسالة توجه الى الدكتور وايزمان ، وهذه الرسالة ستسلم للصحف . واذا كانت هناك حاجة قصوى لتقديمها الى البرلمان ، فان رئيس الوزراء يشير الى انه سوف يوزع نسخا من تلك الرسالة مع اجراء التصويت . وانه سوف يوافق في الحالة الاخيرة فقط على نشر الرسالة ككتاب ابيض »(١٨).

والذي حدث ، ان الرسالة نشرت بعد ذلك بيومين في هانزارد ، ردا على كتاب خطي من كنوورثي (هانزارد ، المجلد الرقم ٢٤٨ ، الاعمدة ٧٥١ — ٧٥٧) ، واكتمل التقرير بسيدني ويب .

كان سيدني ويب من اعظم رواد الاشتراكية البريطانية . ووقف ذكاؤه اللامع وقدرته العقلية على توليد الافكار العملية، أكثر من أي شيء آخر ، وراء تحويل حزب العمال الى أداة تسعى لتحقيق الاشتراكية عبر الديموقراطية البرلمانية ومن خلال ارادة الشعب . وكان من رأيه دائما ان السياسة يجب ان تبنى على دراسة معمقة وعن كثب للوقائع ، لا على الاراء المسبقة والمعلومات الناقصة . وحين سعى الى تطبيق هذا المبدأ على فلسطين ، قام الصهيونيون بتدمير جهوده لانهم كانوا قد شددوا قبضتهم الخانقة على الحزب الذي كان ويب قد صنع الكثير من اجل انشائه وبنائه ، ووجد ويب نفسه محقرا على الملأ .

وفكر سيدني ويب بالاستقالة . وشعر أصدقاؤه الحميمون وزملاؤه بالاشمئزاز من الطريقة الجائرة والخسيسة التي عومل بها ، لكنه لم يستقل ، حرصا على وضع حكومة الاقلية العمالية الدقيق ، وولاء لقضايا أشمل ، وكان أسف محبيه عظيما لانه لم يستقل . كتبت بياتريس في يومياتها في الرابع عشر من ديسمبر — كانون الاول ١٩٣٠ : « يرغب سيدني في الاعتزال . وحيث انه لا بد من وجود وزيري دولة في مجلس اللوردات ، فان استقالته ستزعج مكدونالد ، كما انها سوف تحتسب انتصارا لليهود على العرب ، الامر الذي قد يخلق متاعب في فلسطين » . لقد كان بوسعه أن يستقيل. وان يحول المسألة الى حملة كفاحية واسعة ، لكن مثل هذه الطرائق في العمل والنشاط لم تكن من طبعه ومزاجه ، ثم انه كان ، على اي حال ، يقترب من بلوغ الواحدة والسبعين ، وكان في الواقع راغبا في التقاعد حتى قبل وقوع هذه الاحداث الخطيرة .

وكان هذا انتصارا للصهيونيين ، وكمثل أي انتصار آخر لهم ، فانه أدى الى وقوع المزيد من الاضطرابات في فلسطين . أما بالنسبة لمكدونالد ، فان تواطؤه مع الصهيونيين سبق تواطؤه مع قادة حزبي المحافظين والاحرار ، وان خيانته لسيدني ويب تلتها خيانته لحزب العمال مما قاد الحزب الى الهزيمة الفادحة في الانتخابات العامة في اكتوبر — تشرين الاول ١٩٣١ .

الصهيونيون يمسكون بخناق الحزب

تمكن الصهيونيون خلال الثلاثينات والاربعينات من هذا القرن ، من تشديد قبضتهم اكثر واكثر على حزب العمال البريطاني ، الى درجة انه صار في وسعهم ان يرسموا سياساته ازاء الشرق